خطبة جمعة

شرح حديث الأبرص والأقرع والأعمى

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

١ ــ جاء في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبيّ ذكر قصّة ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، وكيف أن الله سبحانه ابتلاهم، وهذه القصّة فيها موعظةٌ عظيمة، ونحن سنذكر القصّة مشروحة، مع بيان شيء من فوائدها وعبرها، فنقول وبالله التوفيق:

٢ ــ لقد كان هناك ثلاثة من بني إسرائيل: رجل أبرص، ورجل أقرع، ورجل أعمى، فالله تعالى ابتلى هؤلاء الثلاثة واختبرهم، لأن الله تعالى يبتلي ويختبر، يبتلي بالشرّ، ويبتلي بالخير كما قال تعالى: "ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة".

فقد يبتلي سبحانه العبد بالخير فقط، لينظر سبحانه هل هذا العبد سيشكر أم سيكفر كما قال تعالى عن سليمان: "فلما رآه مستقرًّا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر".

وقد يبتلي سبحانه العبد بالشرّ فقط، لينظر سبحانه هل هذا العبد سيصبر أو يتضجّر كما قال تعالى: "ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشّر الصابرين".

٣ ــ فهؤلاء ثلاثة من بني إسرائيل: أحدهم أبرص، والبرص: بياضٌ يظهر في الجلد، والثاني أقرع: والمراد بالقرع، داءٌ يصيب الصبيّ في رأسه، فيزول شعره كله، أو بعضه، ويبقى معه إلى أن يشبّ ويكبر. والثالث أعمى: والأعمى هو من فقد بصره أن كان سليمًا، أما الأكمه فهو من وُلد وهو فاقد البصر.

٤ ــ قال النبيّ – صلى الله عليه وسلم –: "فأراد الله أن يبتليهم": أي: أراد أن يختبرهم بنعمته، أي: أن هذه الأصناف كثيرة في الناس، فهناك الكثير ممن عنده برص، والكثير ممن عنده قرع، والكثير ممن فقد بصره، لكن هناك ثلاثة أشخاص من هذه الأصناف في بني إسرائيل أراد الله تعالى أن يبتليهم بهذا الابتلاء.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

٥ ــ فبعث الله تعالى إليهم ملكًا من الملائكة، لكنه لم يبعثه بصورته الحقيقية، وإنما تمثّل لهم بصورة رجل آدميّ، لأنه لو ظهر بصورته الحقيقية لخافوا منه، ولم يحصل الابتلاء.

٦ ــ فجاء الملك إلى هذا الأبرص على صورة رجلٍ، فقال: "أيّ شيء أحبّ إليك ؟" بمعنى أيّ شيء تتمنّاه ؟! قال: "لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عنّي هذا البرص الذي قد قذِرني الناس به". وقذِرني الناس أي: كرهوا مخالطتي. قال: فمسحه، فذهب عنه قذرُه، فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا".

وينبغي أن يُعرف أن الذي يشفي من العاهات، ويعافي من الأمراض هو الله تعالى، كما قال تعالى: "وإذا مرضت فهو يشفين". وفي الحديث أننا نقول للمريض عند الرقية: "اللهم ربّ الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك".

فالشفاء من الأمراض كلِّها وفي الأحوال كلّها من الله، لكن الله أمر الملك أن يمسح، والله هو الذي يشفي من الأمراض والعاهات.

مسح الملك على موضع البرص فشُفي الرجل، ثم قال: "فأيّ المال أحبّ إليك ؟" قال: الإبل أو البقر، فأعطي ناقةً عُشراء أي: ناقةٌ حامل، والعشراء هي التي قد أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية منذ أن طرقها الفحل. وهذه من أحسن الأموال، وقال: "بارك الله لك فيها".

٧ ــ ثم جاء الملكُ إلى الرجل الأقرع، فقال له: "أي شيء أحب إليك ؟" قال: "شعرٌ حسنٌ"، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، ألا وإن الذي يعطي الشَعر وغيره من صور الجمال هو الله تعالى، ولكن الله أمر الملك أن يمسح، والله هو الذي يعطي، فمسحه الملك فذهب عنه القرع، وأُعطي شعرًا حسنًا، ثم قال الملك: "أي المال أحبّ إليك ؟" قال: "البقر"، فأعطي بقرةً حاملًا [1]، قال: "بارك الله لك فيها".

٨ ــ ثم جاء الملكُ إلى الرجل الأعمى، فقال: أيّ شيء أحب إليك؟ قال: أن يردّ الله إلي بصري فأبصر به الناس، فمسح على عينيه فردّ الله عليه بصره، والذي يعطي البصر وغيره من الحواس هو الله تعالى كما قال تعالى: "وجعل لكم السمع والأبصار

[1] لم يقل حاملة، لاختصاص هذا الوصف بالمؤنث كحائض وطالق.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والأفئدة"، ولكن الله أمر الملك أن يمسح والله هو الذي يعطي، فمسح الملك فردّ الله إلى الأعمى بصره، ثم قال له الملك: "فأي المال أحب إليك ؟" قال: "الغنم". فأُعطي شاةً والدًا". أي: ذات ولد، أو التي عرف منها كثرة الولد والنتاج. فأنتج هذان أي: صاحب الإبل وصاحب البقر، وولّد هذا أي: صاحب الغنم، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم. أي: كان لكلّ واحد منهم ما يملأ الوادي من الإبل والبقر والغنم.

٩ ــ وبعد مُدّة جاء الملك إلى الرجل الذي كان أبرص في صورته وهيئته السابقة كأنه رجلٌ أبرص وفقير وذلك ليستثير شفقته ويذكّره بما كان عليه، فسأله قائلًا: "أنا رجلٌ مسكينٌ، قد انقطعت بي الحبال في سفري، أي: انقطعت أسباب المعيشة. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك [١]، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال، أن تعطيني بعيرًا أتبلّغ به في سفري، ومعنى أتبلّغ به: أي: أتوصل به إلى البلد الذي أريده.

وقوله: "أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن" فيه دليل على ما ذكرناه من أن الذي شفاه من عاهة البرص هو الله تعالى.

سأله الرجل بعيرًا يتبلّغ به، فبماذا ردّ عليه الرجل ؟! قال الرجل: "الحقوق كثيرةٌ". أي: ليس هناك فاضل عن الحاجة لأعطيك إياه فانظر غيري، فقال له: "كأني أعرفك [٢] ألم تكن أبرصَ يقذرك الناس، وفقيرًا فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: "إنما ورثت هذا

---

[١] لم يقل: "لا بلاغ لي إلا بالله وبك"، لأن هذا لا يجوز، إنما تقول إلا بالله ثم بك، فتبدأ باسم الله لأنه صاحب النعمة سبحانه، ثم تقول ثم بك لأن المخلوق سببٌ، فلا تسوّي بين خالق النعمة وموجدها مع الذي خلقه الله سببًا لهذه النعمة.

وكثيرٌ من الناس اليوم يسوّي بين الله تعالى وبين الأسباب التي يخلقها تعالى، فيقول أنا بالله وبك، وما معي إلا الله وأنت، وعند الله وعندك، ونحو ذلك، وهذا كلّه لا يجوز.

[٢] قيل إن "كأن" هنا للتحقيق وليس ، وهو قول الكوفيين وذكره ابن هشام في "مغني اللبيب"، والمعنى إنني أعرفك، والذي صححه ابن مالك، وأبو حيان، والرضي وغيرهم، ما ذهب إليه الجمهور من أنها للتشبيه، وأن ما أوهم خلافه فهو مؤول. ا.هـــ من "دليل الفالحين إلى طرق رياض الصالحين" لابن علّان.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المال كابرًا عن كابر". أي: ورثت هذا المال عن كبير من آبائي، وهو ورثه عن كبير آخر من آبائه. فقال له الملك: "إن كنتَ كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت". أي: ردّك الله إلى حالك الأولى، وذلك برجوع العاهة إليك.

١٠ ــ ثم جاء الملك الأقرع في الصورة الأولى للأقرع، فقال له كالذي قاله للأبرص، فردّ عليه كردّ الأبرص، "الحقوق كثيرةٌ". فقال له: "كأني أعرفك، ألم تكن أقرع يقذرك الناس، وفقيرًا فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: "إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر". فقال له: "إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت".

١١ ــ وجاء الملك إلى الأعمى في الصورة السابقة للأعمى، فقال له: "رجلٌ مسكينٌ، وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري. فقال له الرجل: "قد كنت أعمى فردّ الله إلي بصري، فخُذ ما شئت، ودع ما شئت؛ فوالله لا أجهدك بشيء أخذته لله". أي: لا أشق عليك بردّ شيء تأخذه من مالي.

فهذا الرجل – الذي كان أعمى – أقرّ بنعمة الله عليه ولم يجحدها، بل تحّدث بها أنها من الله وحده، وكان يريد أن يتصدّق على من يراه أنه محتاج لها، فقال الملك: "أمسك مالك" أي: ابق مالك معك، "فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك".

١٢ ــ ومعنى الحديث: أن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – يخبر عن هؤلاء الثلاثة الذين أبتلي كلٌّ منهم بعاهة في الجسم، مع ما كان عليه من فقر شديد للمال، ثم إن الله سبحانه أراد أن يختبرهم، وعندما يريد الله أن يختبرهم فليس معنى ذلك أن الله لا يعلم العيب، ولا ما في النفوس، ولكن ليصدر منهم عمل يستحقّون به الثواب والعقاب، فالله لا يجازي على حسب علمه تعالى، وإنما يجازي على حسب عمل ابن آدم.

أراد أن يختبرهم، فأزال ما أصابهم من العاهات، وأدرّ عليهم من الأموال، ثم أرسل إلى كل واحد منهم الملك بهيئته الأولى – من: العاهة والفقر – ليستشير شفقته، وليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليه، وهنا تكشفت سرائرهم، وتجلّت حقائقهم، فالأعمى اعترف بنعمة الله عليه، ونسبها إلى من أنعم عليه بها سبحانه، وأدى حقّ الله فيها،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وهذا هو الشكر الحقيقيّ، لأن الشكر يقوم على إقرار القلب بأن النعمة من الله تعالى، والتحدث بها على أنها من الله تعالى ولولاه لما حصلت لنا هذه النعم، ثم استعمالها في طاعة الله، لذلك استحق هذا الأعمى الرضا من الله.

أما صاحباه – وهما الأبرص والأقرع – فقد كفرا بنعمة الله عليهما، وجحدا فضله، فلم يقرّا بنعمة الله تعالى، ولم يخرجا حقّ المساكين، فاستحقا السخط من الله تعالى.

١٣ ــ وينبغي أن نعلم أننا دائما نُمتحن ونُبتلى، فلا تظنّ أيها المسلم أنك لا تكون مبتلى إلا إذا نزل عليك ملك ليمتحنك، فالملائكة لا تنزل بعد موت النبيّ – صلى الله عليه وسلم – لكن الابتلاء مستمرٌّ، والآيات في ذلك كثيرة ومعلومة، كما قال تعالى: "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملًا" وقال تعالى: "ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم". وغيرها من الآيات.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وبعد:

وفي الحديث فوائد كثيرةٌ، لكننا سنذكر بعضها، ففي الحديث:

١ ــ جواز ذكر حال من مضى من الأمم ليتّعظ به الناس إذا كان المنقول صحيحًا عنهم، ففي الأمم من العبر ما يتذكّر لها من يتذكّر.

٢ ــ وجوب شكر نعمة الله في المال، وذلك بأداء حق الله فيه.

٣ ــ أن كفر النعمة يذهب هذه النعم، وأن شكر النعمة يحفظها ويزيدها، كما قال تعالى: "وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد".

٤ ــ أن الصدقة على المحتاجين من أعظم أنواع الشكر التي تُشكر بها النعم.

٥ ــ أن البخل قد يفضي إلى كفر النعم.

٦ ــ أن البخل لا يكون سببًا لحفظ المال، بل قد يكون سببًا لذهاب الأموال.

٧ ــ أن الله يختبر عباده بالشيء المحبوب كما يختبرهم بالشيء المكروه.

٨ ــ فيه أن ينبغي أن يقول الإنسان أنا بالله ثم بك، أو أنا ليس معي إلا الله ثم أنت، فيكون العطف بثمّ لا بالواو.

٩ ــ أن العافية من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وأن كثيرًا من الناس يتمنّاها، لأنه محروم منها.

١٠ ــ أنه يجب علينا شكرها بطاعة الله تعالى والمحافظة على الخير، والحذر من تدميرها بالأشياء المفسدة لها.

١١ ــ جواز العلاج لإذهاب العاهات والآفات، وأن ذلك لا يعارض القدر، فيجوز التداوي ما لم يكن هناك مانعٌ شرعيّ.

١٢ ــ جواز الاشتراط في الدعاء، لأن الملك قال: "إن كنت كاذبًا فصيّرك الله لما كنت". والاشتراط هنا هو الاشتراط الذي تتقي به الوقوع في الظلم، لا الاشتراط الذي فيه نوع إساءة لله تعالى.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

١٣ ــ في الحديث إثبات صفة الرضا وصفة السخط لله سبحانه وتعالى، وقد وصف الله تعالى نفسه بهما، قال تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة". وقال تعالى: "أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون".

١٤ ــ الحث على الرفق بالضعفاء، وإكرامهم، وتبليغهم مآربهم.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم

وأقم الصلاة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)